المرائي عند الصوفية: أبو محمد الزواوي أنموذجا

د. خلفات مفتاح

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية -جامعة المسيلة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

مقدمة

حفلت كتب التراجم والمناقب بسيل من الكرامات والمكاشفات[١] نسبت إلى طائفة كبيرة من المتصوفة، كإدعائهم معرفة المستقبل والإخبار بأحوال الموتى،[٢] إلى جانب إتيانهم بخوارق الأشياء كالمشي فوق الماء[٣] وطي الأرض[٤] والطيران في الفضاء،[٥] لكن الظاهرة الأبرز في هذه المكاشفات، والتي شدت الانتباه إليها في سلوك صوفية زواوة هي كثرة الرؤى أو المرائي الصوفية،[٦] التي تعتبر من "العلوم الشرعية الحادثة في الملة"، كما عبر عن ذلك ابن خلدون.[٧]

---

(١) الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية، تح، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠، ص١٨٢ ؛ ابن مريم، البستان في تاريخ أولياء تلمسان، نشره محمد أبو شنب وقدم له عبد الرحمن طالب، د.م.ج، ١٩٨٦، ص٨٢ ؛ الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح، محمد بن أبي شينب، مطبعة بيير فونتان الشرقية، الجزائر، ١٩٦٨ ، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤، ص٥٤٧؛ التنبكتي، نيل الابتهاج وتطريز الديباج، ذيل الديباج المذهب لابن فرحون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.، ص١٢٨.

(٢) ابن الحاج النميري، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة و تحقيق محمد ابن شقرون ، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٥٤ ؛ الورتلاني، المصدر السابق ، ص٦٩٤.

(٣) الورتلاني، المصدر السابق ، ص٢٥.

(٤) نفسه ، ص٤٧.

(٥) ابن مريم، المصدر السابق، ص ١١٢، ١١٣؛ محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن ٦ إلى ٩هـ/ ١٢- ١٥م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ١٩٩٩، ص١٩٦.

(٦) الورتلاني، المصدر السابق، ، ص ٧- ١٢- ١٥.

(٧) ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠٠٠، ص٣٨٩.

العرض

ويأتي الاهتمام بهذا النوع من الإنتاج الصوفي كونه يعكس الحالة النفسية، والاجتماعية، التي كان يعيشها هؤلاء من جهة،[٨] ومن جهة ثانية يحيلنا إلى مشهد آخر لحركة التصوف نهاية العصر الوسيط، الذي عرف تحولا كبيرا في المنهج والسلوك وتعدد الطرائق مع كثرة الشيوخ وأدعياء الولاية.

وقبل الشروع في بحث هذه الظاهرة عند صوفية زواوة أرى من المفيد أن نحدد الفرق بين "الحلم" و"الرؤيا".

فالحلم عادة يعبر عن حالة الشرود الذهني وغياب النفس عما كانت عليه أثناء النوم تحت تأثير عوامل تجعل الفكر ينساق وراء ما يخطط له في مخياله من الأماني المستقبلية أكثر مما هو مرتبط بالماضي وذكرياته، وهو قاسم مشترك بين جميع البشر على اختلاف أجناسهم وأعمارهم.[٩]

أما الرؤيا[١٠] فهي ذات مدلول ديني، يعكس صفاء النفس وطهارتها ومن ثم استعدادها لتلقي أسرار وتجليات الإلهية بعد أن يكشف لها عالم الغيب،[١١] لذا اعتبرها أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١٠٥م) من دقائق علوم المكاشفة.[١٢]

ويتضح مما سبق أن الحلم أشمل في مدلوله، بينما الرؤيا أصدق تعبيرا إذ يستشعر الرائي البشارة من الله – فتكون بذلك أكثر تنبأ– بالغيب من الحلم. [١٣]

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات ما يدل على هذا المعنى منها قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام:« إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا

---

(٨) عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، بدون تاريخ، ص٩٩.

(٩) ابن خلدون، المصدر السابق، ص٣٨٨ ؛ عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص٩٩.

(١٠) يقسم ابن خلدون الرؤيا إلى ثلاثة أنواع، رؤيا من الله، ورؤيا من الملك، ورؤيا من الشيطان ؛ أنظر، المقدمة، ص٣٩١.

(١١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ص٤٣٤ ؛ عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص١٠٠.

(١٢) إحياء علوم الدين، ج٤، ص٤٣٣.

(١٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٩٠ ؛ عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص١٠٠.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ »[١٤] وقوله عز وجل:« فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ».[١٥]

وفي نفس السياق أكد الرسول صلى الله عليه وسلم أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة،[١٦] وقوله أيضا:« لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له»،[١٧] وبناء على هذا التقرير فصل ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٨م) في مقدمته بين الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام الكاذبة، "فإن كانت تلك الصورة متنزلة من الروح العقلي المدرك فهي رؤيا وإن كانت مأخوذة من الصورة التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة فهي أضغاث أحلام"،[١٨] كما أن للرؤيا الصادقة علامات تشهد على صحتها، إذ يستشعر الرائي بما ألقاه الله عليه في نومه، منها سرعة الانتباه عند إدراك الرؤيا، وثبوت ذلك ودوامه بانطباع تفاصيلها في حفظه فلا يعتريها سهو ولا نسيان لأن الإدراك النفساني ليس بزماني ولا يلحقه ترتيب كما هو في الأحلام.[١٩]

الرؤيا والأحلام بين العلم والدين:

كشفت النصوص التاريخية أن الفيلسوف اليوناني أرسطو هو أول من حاول تجريد الأحلام من الخضوع للشعوذة، مفندا أطروحة من سبقه من علماء الإغريق بقوله: "إن الأحلام ليست رسائل ترد من الآلهة وأنها لا تكشف عن أشياء خارقة للطبيعة وإنما الأحلام تكون من النشاط النفسي يصدر عن النائم بحسب الظروف التي يكون عليها في نومه".[٢٠]

ولما جاء الإسلام صبغ على الحلم طابع الطهارة، والتجلي وكشف حجاب الأسرار الإلهية التي خص بها الله طائفة من المؤمنين الأخيار،[٢١] ولنا في قصص الصحابة والتابعين خير دليل على ذلك،[٢٢] فقد اعتاد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسأل أصحابه بأن يقصوا

---

(١٤) سورة يوسف، الآية ٤– ٥.

(١٥) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

(١٦) أبو حامد الغزالي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٣٢ ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٣٩١.

(١٧) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٨٩.

(١٨) نفسه، ص٣٩٠.

(١٩) نفسه، ص٣٩٠.

(٢٠) عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص١٠١.

(٢١) أبو حامد الغزالي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٣٢ ؛ عبد الرزاق قسوم، المرجع السابق، ص١٠١.

(٢٢) محمد بن سيرين، تفسير أحلام التفاؤل، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص١٢.

عليه مرائيهم، ليستبشر بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين وإعـزازه،[٢٣] إلا أن تعبيـر الرؤيا يخضع لمنهج رمزي حدده محمد بن سـيرين (ت ١١٠هـ/٧٣٠م) بحسـب الطبـع، والوقت، والعادة، فمن كان له طبع عبر عنه في كل حين يرى فيه بطبـع وقتـه وجـوهره وعادته في ذلك الوقت كالشجر، والثمر، والبحر، والليـل، والنهـار، والشـمس، والقمـر، والكواكب، ومن كانت له في الناس عادة لازمه من المرئيات سائر الأزمان أو في وقت دون آخر، وعادته التي عوده الله عليها،[٢٤] وحسبنا دليلا على ذلك ما ورد في القرآن في سـورة يوسف عليه السلام قوله تعالى:« يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِـكَ سَـبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ».[٢٥]

لكن اللافت أنه رغم ما تكتسيه الرؤى المنامية من أهمية، بما تكشفه لصاحبها من خبايا وأحوال المستقبل،[٢٦] إلا أن عدد من الفلاسفة سخروا منها واعتبروها مـن العـادات الخارجة عن المألوف، وهذا عكس المتصوفة الذين رأوا فيها نوعا من "الكشـف والإلهـام والتجلي" واعتبرها بعضهم من الكرامات التي خص بها الله أولياءه من رجال الدين وأصحاب الطريقة.[٢٧]

ومن هذا المنظور عمدت كتب المناقب والتراجم والرحلة، إلى الترويج لمثل هذه الكرامـات والمرائي من باب التأكيد على المكانة الدينية لرجالات هذا الوسط، ولعل ما يزكي هذا الطرح ما ألفه الشريف الزواوي (من أعلام القرن ١٠هـ/١٦م) في مصنفه حول المرائي الصـوفية

---

(٢٣) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٨٩.

(٢٤) يشير ابن سيرين أن رؤيا النهار أقوى وأصدق الرؤى ما كان بالأسحار وبالقائلة، وأصدق الأوقات وقت انعقاد الأنوار، وحين يينع الثمر وإدراكه، ورؤيا النهار أقوى من رؤيا الليل وقد تتغير الرؤيا عن أصلها باختلاف هيئات الناس وصناعاتهم وأقدارهم وأديانهم، فتكون لأحدهم رحمة ولآخر عذاب ؛ محمد بن سيرين، المصدر السابق، ص٨.

(٢٥) سورة يوسف، الآيات ٤٦- ٤٧- ٤٨.

(٢٦) محمد بن سيرين، المصدر السابق، ص٧.

(٢٧) لعل ما يجسد هذا الاهتمام ما ألفه أبي طالب القيرواني من علماء المغرب الأدنى "مثل الممتع" وكتاب "الإشارة" للسالمي، وكتاب "المرقبة العليا" لابن رشد ؛ أنظر:المقدمة، ص٣٩٢.

والموسوم بـ"كتاب في الرؤى والأحلام" أو كتاب "التعريف ببعض أحوالنا ومرائي رئيت لنا أو رأيت أنا بأنها إشارات من الله".[٢٨]

ومن صوفية زواوة الذين اشتهروا في هذا الحقل، أبي موسى اليجري من أعلام القرن ٨هـ/١٤م لما عرف عليه من الكرامات، وما كان يأتي به من الخوارق والغرائب كالإخبار بأحوال الموتى ومصائرهم، وما كان من نافعهم وضارهم ويبلغ وصياهم محققة بالإمارات يعرفها الموصون إليهم، وقد قطع ابن الحاج النميري (ت بعد ٧٧٤هـ/١٣٧٤م) أنه لم يكن أحد يمانع فيما يقول أو ينكر عليه، بل "يسلم في ذلك العالم والجاهل" وكان يحرص في أغلب الأوقات على أن يستكتم ما يخبر به من المرائي ويأخذ العهد على ذلك.[٢٩]

ومن الزواويين الذين خصوا بمثل هذه الكرامات – على الإطلاق– محمد بن محمد بن عمر الفراوسني (ت ٨٨٢هـ/١٤٨٢م) من بني فراوسن إحدى فروع قبائل زواوة، تلقى تعليمه على يد لفيف من علمائها منهم أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد اليحمدي، وأبي العباس أحمد بن موسى بن عزيز، والإمام الخطيب أبي العباس أحمد بن إبراهيم، والولي الصالح أبي عبد الله بن يحي اليجري،[٣٠] والولي الصالح أبي عثمان الصفراوي (من أعلام القرن ٩هـ/١٥م)، وبعد أن أتم تحصيله العلمي انتقل إلى قسنطينة واشتغل فيها بالتدريس، إلى أن غادرها باتجاه تلمسان التي مكث بها مدة يزاول نشاطه التربوي، إذ كان معدودا في طائفة الأولياء الصالحين والأئمة الزاهدين على حد تعبير التنبكتي،[٣١] ومنها رحل إلى الحجاز حاجا، وجاور بالمدينة المنورة ثلاثة أشهر، التقى فيها بعدد من الصوفية المغاربة، منهم الشيخ زروق البرنسي[٣٢](من أعلام القرن ٩هـ/١٥م).

وتعود شهرة محمد الفراوسني إلى كثرة المرائي لاسيما منها تلك التي اقترنت بشخص الرسول – صلى الله عليه وسلم– التي ضمنها كتابه "تحفة الناظر ونزهة المناظر"

---

(٢٨) الشريف الزواوي، كتاب في الرؤى والأحلام، مخطوط، تحت رقم، م٥٠٣٨، مكتبة الحامة، الجزائر.

(٢٩) ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص ٢٥٤– ٢٥٥.

(٣٠) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٢٢.

(٣١) نفسه، ص٣٢٢.

(٣٢) محمد الفراوسيني، تحفة الناظر ونزهة المناظر، مخطوط تحت رقم د٩٩٥، الخزانة العامة، الرباط، المملكة المغربية ، ورقة ٥.

وقد بلغت نحو مئة وتسعة من المرائي تمت خلال عشر سنوات (٨٢١- ٨٦١هـ/١٤٥١-١٤٦١م). [٣٣]

وقد تردد محمد الفراوسني كثيرا في تدوين هذه المرائي، وإخراجها للناس، استجابة لرغبة شيخه أبي عثمان الصفراوي، الذي نصحه بأن لا يحدث أحدا مما فتح الله عليه من الهبات اللدنية، وما خصه من الكرامات الإلهية ربما كان ذلك خوفا بأن لا يصدقه الناس بما يطلعهم عليه من هذه المرائي، لاسيما مع انتشار ظاهرة "الحسد" بين علماء ذلك العصر، وكثرة منتحلي التصوف الذين أساءوا إلى هذا الحقل الديني بما كانوا ينشرونه من البدع والخرافات، [٣٤] إلا أن إلحاح بعض أصدقائه عليه، لاسيما بعد الرواج الذي عرفه كتابه الأول "السر المصون" في كل من إفريقية وطرابلس، اضطره إلى إخراج هذه المرائي، فخطر له أن يسميها بـ"تحفة الرائي بما فتح الله من مرائي" لكنه عدل عن ذلك إلى أن استأذن الرسول – صلى الله عليه وسلم– فأشار عليه أن يسميها بـ"تحفة الناظر ونزهة المناظر" الذي كان بالنسبة لكتاب "السر المصون" كالماشطة للعروس على حد تعبيره. [٣٥]

ويستشف مما تضمنه هذا المخطوط المكانة الدينية لمحمد الفراوسني الذي نجح إلى حد بعيد في الجمع بين علمي الشريعة والحقيقة، وقد أشاد – هو– بدوره بمن اندمج في هيكل هذا التيار، وأشار إلى ذلك بقوله:" كل من دخل سلكنا فهو من الآمنين" شعاره في ذلك: "اذكروا الله حتى يقولوا أنه مجنون". [٣٦]

وقد حرص في مؤلفه على تأكيد صدق رؤيته للرسول – صلى الله عليه وسلم– بعدما أنكر عليه ذلك عدد من أترابه ممن انخرطوا في سلك هذا التيار "لحسدهم وخبث سرائرهم"، [٣٧] واستعرض جملة من الأحاديث النبوية بما يزكي صدق ما يخبر به منها قوله

---

(٣٣) محمد الفراوسيني، مخطوط، في عدة مواضع ؛

Janathan KATZ ،dreams and sufusm and sainthoud, Leiden; New York, 1996, 6- 7.

(٣٤) نفسه، ورقة ٢ ؛ إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، ج٣– التصوف، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠ ، ص١١٣.

(٣٥) نفسه، ورقة ٥.

(٣٦) نفسه، ورقة ٢– ١١.

(٣٧) نفسه، ورقة ٢.

عليه الصلاة والسلام:"من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي" وقوله أيضا:" لم يبق من الوحي إلا المبشرات" ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة.[٣٨]

ومن القرائن التي استشهد بها أيضا ما أثبته العلماء بأنه يجوز أن يرى الرسول – صلى الله عليه وسلم– على غير صورته المعهودة في الدنيا، واختلاف صورته عليه السلام إنما هو بحسب حال الرائي،[٣٩] وحسبنا أيضا ما نقله عن القطب أبي العباس المرسي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٥م)[٤٠] قوله: "والله لو حجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين" لذا ينبغي لكل مؤمن حقا إذا سمع من قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعظمه ويؤمن بذلك على حد تعبيره، فإن كذبه فكفاه قول الرسول – صلى الله عليه وسلم– :"من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"،[٤١] كما يستفاد مما ذكره في مصنفه ما تعرض له من إيذاء الناس له بسبب تلك المرائي التي أثارت حفيظة أقرانه من الصوفية، منهم على وجه الخصوص الإمام أحمد زروق البرنسي، وقد دافع على نفسه وصدق مرائيه بما حشده من الآيات تعطي الدليل على مكانته الدينية، وأنه أحد الأولياء الذين يجب الاعتقاد فيهم وفي كراماتهم، وهو ما نقرأه في الآيات التالية: قال تعالى:"إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء"،[٤٢] وقوله:"ويختص برحمته من يشاء"،[٤٣] وقوله أيضا:"والله أعلم حيث يجعل رسالته"،[٤٤] وقوله:"وما بكم من نعمة فمن الله".[٤٥]

إلا أن ما يسترعي الانتباه أنه رغم ما قدمه الفراوسني، من قرائن وشواهد تؤيد صدقية مرائيه، إلا أن التنبكتي ذكر فيما نقله عن الإمام زروق أنه مات "مرفوضا" لتجاوزه الخطوط المتعارف عليها بين رجالات هذا الوسط، فيما ادعاه وأخبر به في محاوراته للرسول

---

(٣٨) محمد الفراوسيني، مخطوط ، ورقة ٢– ٤.

(٣٩) نفسه، ورقة ٣.

(٤٠) هو أحمد بن عمر الأندلسي، أبي العباس المرسى، الإمام العارف، أحد تلامذة الحسن الشاذلي، كانت له مجالس للعلم في الفقه والتصوف يعتمد فيها على كتاب "التهذيب" في الفقه والإرشاد وفي العقائد، وكتاب "المصابيح في علوم الحديث"، وابن عطية في التفسير، و"الإحياء" في التصوف، وقد رويت عنه كرامات وافرة، توفي سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٥م ؛ أنظر ترجمته في، التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ص٣٦.

(٤١) محمد الفراوسيني، مخطوط، ورقة ٤.

(٤٢) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

(٤٣) سورة البقرة، الآية ١٠٥.

(٤٤) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

(٤٥) سورة النحل، الآية ٥٣.

صلى الله عليه وسلم، مستدلا بالعبارات التالية: "واستأذنته"، و"أشار علي"، و"نهاني عن تركه"، و"افعل إن شئت"،[٤٦] وهو ما لم يتعود عليه الناس في سلوكات الصوفية.

والحقيقة أن الذي أثار سخط – العلماء ورفضهم له– إنما يعود بسبب ادعاء الفراوسني بأنه نظير للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو مثله خليل لله عز وجل،[٤٧] وحسبنا أنه قارن نفسه بما تعرض له الرسول – صلى الله عليه وسلم– من طرف كفار قريش الذين أنكروا أول الأمر نبوءته، وكل ما جاء به من القرآن الكريم مستشهدا في ذلك بما استعرضه من الآيات الموحية إلى ذلك منها قوله تعالى:"ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون"[٤٨] وقوله: "ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون"[٤٩]، "ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم"[٥٠] واستغربوا أن يكون فضل الله في الجنس البشري من عند الله، فذكر قوله تعالى: "هو الذي بعث في الأميين رسولا"[٥١] وقوله أيضا: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" وقوله: "إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم" [٥٢] "والله أعلم حيث يجعل رسالته".[٥٣]

وإنصافا للقول نؤكد أنه رغم ما في هذه النصوص القرآنية من "الإيحاء" إلا أننا لا نستطيع القطع بأن ما ذكره كان الهدف من ورائه مقارنة نفسه مع شخص الرسول – صلى الله عليه وسلم– إنما كان من باب التأكيد على صدقية مرائيه ومكانته عند الله عز وجل من جهة، ومعاناته مع نظرائه من الصوفية قياسا لما تعرض له الرسول – صلى الله عليه وسلم– على يد كفار قريش من جهة أخرى، ربما هذا ما دفع بأحد العلماء إلى القول :"أنه إذا كان الله قد اصطفى محمدا عليه الصلاة والسلام من بين خلقه فإن الرسول عليه السلام قد اختار محمد الزواوي من بين كل الأولياء".[٥٤]

---

(٤٦) محمد الفراوسيني، مخطوط، ورقة ٤، ٥.

(٤٧) سورة المؤمنون، الآية ٣٣.

(٤٨) سورة المؤمنون، الآية ٣٤.

(٤٩) سورة المؤمنون، الآية ٢٤.

(٥٠) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٥١) سورة التوبة، الآية ١٢٩.

(٥٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٥٣) سورة الأنعام، الآية ١٢٤ ؛ أنظر الفراوسيني، مخطوط، ورقة ٢،٣.

(54) Janathan –KATZ, 183.

ومن جهته أكد الورتلاني في رحلته بأن سكان منطقة زواوة كان لهم اعتقاد ظاهر في أبي محمد الفرواسيني لما شاع من أخباره و مرائيه،[٥٥] – التي يبدو أن بعض المصادر نسبتها خطأ لمحمد بن زغدان (ت ٨٨٢هـ / ١٤٨٢ م). [٥٦]

ورغم ما واجهه محمد الفرواسيني من انتقادات من طرف خصومه من شيوخ التصوف – على اعتبار – أن ماجاء به كان من الأمور الخارقة – إلا أن موضوع " المرائي الصوفية " ، أخذ منحى آخر نهاية القرن ٩ هـ / ١٥ م ، بكثرة أدعياء – مثل هذه الكرامات في سعيهم لإثبات " الولاية " و استقطاب المريدين ، التي تجاوزت حدود المعقول كأن يدعى بعضهم رؤية جبريل أو مكائيل عليهم السلام – أو يتحدث في أمور – حمل – الحوامل – وبتحديد نوعية جنسه – أو يقول – لمن يراه مريضا خذ هذه العشبة تداوي بها فهي كما أعطانيها الرسول صلى الله عليه و سلم،[٥٧] الأمر الذي دفع بعدد من الفقهاء بالدعوة إلى ضرورة إخضاع هذه المرائي إلى مقياس الشرع.

ومجمل القول فإنه رغم إنكار بعض العلماء والفرق الكلامية "كالمعتزلة " و "القدرية" على ما يأتي به أصحاب المرائي من الخوارق، إلا أن بعض الفقهاء والصوفية أقروا بحدوث خوارق العادة للأولياء منهم أبي زيد القيرواني ، الإمام الحويني ، ابن رشد، مستندين في ذلك فيما رواه الرسول صلى الله عليه و سلم – عن ربه – قوله :"لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أكون سمعه الذي يسمع به و نضره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها و رجله

---

(٥٥) الورتلاني، المصدر السابق ، ص٢٥ ؛ الحفناوي، المصدر السابق، ج١ ص٣١٨ .

(٥٦) الحفناوي، المصدر السابق، ج١ ص٤٢٣ ؛

Janathan –KATZ, 6

هو أبو المواهب بن زغدان التونسي (ت ٨٨٢ هـ / ١٤٨٢ م)، أحد أقطاب التصوف رحل إلى مصر و أخذ عن عدد من علمائها – قال فيه إمام زروق – كان حسن الأخلاق ذا لسان عظيم فيه كلام القوم له شرح على حكم ابن عطا الله الإسكندري (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) ، نحى فيه نحو حقائق الفلاسفة و دقائقهم – لم يكلمه، وكان ينتسب إلى الطريقة الوقائية ، المتفرعة عن الشاذلية – أسسها محمد بن محمد وقا – و هو غير علي بن محمد بن محمد بن وفا الشاذلي ابن أبي الحسن الشاذلي (ت ٠٧/٨ هـ / ١٤٠٧ م) ، قدم خذه ، محمد النجم من تونس إلى الإسكندرية خلال القرن ٧ هـ / ١٣ م ،حيث تبادل الأخذ مع الشيخ الصوفي إبراهيم الدسوقي(ت ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٦م) ، ولد حفيده محمد سنة ٧٠٢ هـ و توفي ٧٦٠ هـ / ١٣٠٢م – ١٣٦٠ م ،– الذي أسس زاويته بأخميم شرقي النيل جنوب أسيوط – التي ينتسب إليها ذي النون المصري، حول هذا الموضوع ، يراجع التنبكتي، كفاية المحتاج، ص ٢٥٢، محمد حركات، المرجع السابق ص ١٦٣– ١٦٤.

(٥٧) الونشريسي، المصدر السابق، ج٢ ، ص ٣٨٧– ٣٨٨.

التي يمشي بها ولئن سألني لأعطيه"،[٥٨] و على قاعدة أن كل ما ثبت معجزة في حق النبي صلى الله عليه و سلم، جاز أن يكون كرامة في حق الولي فلا –مرية– في ذلك، إلا أنهم اشترطوا ضرورة إخفاء كل ما يراه الصوفي من المرائي، فبقدر ترقيه في المقامات بتعين عليه زيادة الأدب و التواضع و الكتمان، وحسبنا أن أحدهم نصح "هؤلاء" بقوله :" حدثوا الناس بما يفهمون ".[٥٩]

(٥٨) الونشريسي، المصدر السابق، ج٢ ، ص ٣٨٨، ٣٨٩.
(٥٩) نفسه، ص٣٩٢.